صـــالح

عليه السلام

– انفصل جيش المسلمين عن المدينة مسرعًا فى اتجاه تبوك وكان على رأسه الرسول صلى الله عليه وسلم فلما وصل إلى الحِجْر عند بيوت ثمود بعد أيام من رحلته نزل الناس يستقون من آبارها ويتزودون من مياهها وعجنوا منها ونصبوا القدور بها، أما الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه لما قرب منها قنع رأسه وأسرع راحلته ونبّه الناس إلى أن دخول مثل هذا المكان يقتضى التفكر لما مر به من أحداث وعظات وعبر تدمع لها العين ويحزن لها القلب وتملأ الإنسان بخشية الله والخوف من عذابه.

ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسلمين تزودوا من مياه الآبار وعجنوا منها وجعلوها فى طعامهم ينضجونه على النار نادى الناس قائلًا:

لا تشربوا من مائها شيئًا، ولا تتوضأوا منه للصلاة، وما كان من عجين

عجنتموه فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئًا ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له..

ويقول ابن هشام: لما مر الرسول صلى الله عليه وسلم بالحجر سجى ثوبه على وجهه - أى غطاه به - واستحث راحلته ثم قال: لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون، خوفًا أن يصيبكم مثل ما أصابهم

ما قصة هذا المكان.. ومن هم أهله؟

أما المكان فهو الحِجْر فيما بين الحجاز وتبوك، أما أهله فثمود وهى قبيلة من العرب العاربة، كانوا زمنيًا بعد عاد قوم هود، وقد انحرفت بهم العقيدة وانحرفت بهم الأخلاق ونزلوا إلى المستوى الذى لا يتناسب مع بنى الإنسان فعبدوا الأصنام.

وأرسل الله لهم النبى العربى الثانى الذى نشأ فى الجزيرة وهو صالح عليه السلام. وأخذ صالح يبشر برسالة التوحيد:

﴿قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إلٰه غيره﴾ (هود آية: ٦١).

وأخذ صالح يذكرهم بنعم الله عليهم ويقول:

لقد جعلكم الله خلفاء الأرض بعد أن دمر عادًا حين كذبت برسولها.. ولقد أحلكم الله فى إقليم من الأرض تتخذون فيه قصورًا تشيدونها. فيها الترف والنعيم.. ولقد مكنكم الله من الجبال تنتحتون فيها البيوت التى تمتاز

بجوها الرطب فى الصيف فتقيكم الحر وتمتاز بجوها الدافئ فى الشتاء فتقيكم البرد.

أتتركون فيما ها هنا آمنين، فى جنات وعيون.. ونخيل محملة بالثمار؟

أتتركون فى هذا النعيم الذى أسبغه الله عليكم ثم تكفرون، وتعبدون غيره؟

هل يتأتى ذلك فى منطق الحق؟

كلا.. لابد من أن تعودوا إلى الله حتى يستمر فى الإنعام عليكم وحتى يبقيكم فى هذا النعيم وإلا فلا تلومن إلا أنفسكم.

واستمر صالح يبشر برسالة التوحيد والخير فاستجاب له أهل الصدق من ثمود.

بدأ نبى الله صالح يبشر برسالة التوحيد فى وسط مشرك يعبد الأصنام، ولقد اجتهد ما شاء الله له أن يجتهد.. مذكرًا بنعم الله تعالى التى تتوالى على هؤلاء الذين أقامهم الله فى جنات وعيون مبينًا أنه فى دعوته رسول أمين ويعلن:

﴿وما أسألكم عليه من أجر، إن أجرى إلا على رب العالمين﴾ (الشعراء: آية ١٠٩).

إنه لا يطالب بدين ولا مال، ولا يزاحمهم فى جاه ولا رياسة، ولا يريد

منهم إلا أن يتقوا الله ويطيعوه، فطاعته إنما هى طاعة الله لأنه مجرد رسول من لدنه.

وآمن به بعض الذين استضعفوا، ووقفوا جبهة واحدة فى وجهه جميع الملأ الذين استكبروا من قومه يناقشون ويجادلون، ويكذبون ويقولون للذين استضعفوا لمن آمن منهم:

﴿أتعلمون أن صالحًا مرسل من ربه﴾.

فيردون عليهم: ﴿إنا بالذى آمنتم به كافرون﴾.

وفى يوم من الأيام دخل عليهم صالح وهم مجتمعون فى ناديهم وأخذ يدعوهم، فأعلنوا أنهم لن يؤمنوا إلا إذا أتى لهم بمعجزة قائلين:

﴿ماأنت إلابشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين﴾ (الشعراء آية: ١٥٤).

ولم يكتفوا بهذا بل اختاروا هم المعجزة، وذهب بهم خيالهم ما شاء لهم أن يذهب.. لقد اقترحوا عليه أن يأتيهم بناقة ضخمة تشرب ماء البئر اليوم لتحيله إلى لبن فى الغد.

وكان نبى الله صالح حريصًا على هدايتهم، محبًّا لصلاحهم، فأخذ يدعو الله متضرعًا أن يحقق المعجزة، أخذ يدعو الله وهو الذى أعلن:

﴿إن ربى قريب مجيب﴾.

واستجاب له القريب المجيب وأرسل الناقة، وأعلن صالح أنها ناقة الله دعوها تسرح وتأكل فى أرض الله.. ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم﴾. (الأعراف آية: ٧٣).

لكنهم لم يؤمنوا، فإن الكبرياء كانت قد تمكنت من قلوبهم بحيث أصبح لا فكاك لهم عنها، وكمن للناقة أحدهم فرماها بسهم أصاب ساقها، وشد عليها آخر بسيفه فنحرها، ووصل بهم الاستهتار أن طلبوا إلى صالح عليه السلام أن يحقق لهم ما وعدهم به من عذاب فقال صالح:

﴿تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام، ذلك وعد غير مكذوب﴾ (هود آية: ٦٥).

فلما انقضت الأيام الثلاثة، وعند شروق الشمس أخذت الذين ظلموا صيحة من السماء من فوقهم، يصحبها رجفة من الأرض من تحتهم فماتوا عن آخرهم..

ونجى الله صالحًا والذين آمنوا معه برحمة منه.